قال يا موسى البرية اليديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين اذا ذكرت ذكروا بي واذا
ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء في المكاره وينيبون الى ذكري كما ينيب النسور
الى وكرها ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر
اذا حرب قوله تعالى فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي بعض الروايات وقلبه الذي يعقل به ولسانه
الذي ينطق به المراد بهذا الكلام ان من اجتهد بالتقرب الى الله عز وجل بالفرائض
ثم بالنوافل قربه الله اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله على
الحضور والمراقبة كانه يراه فيمتلي قلبه بمعرفة الله ومحبته وعظمته ومهابته و
الاجلال له والانس به والشوق اليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له
بعين البصيرة كما قيل ساكن في القلب يعمره لست انساه فاذكره غاب عن سمعي وعن بصري
فسويدا القلب يبصره قال الفضيل بن عياض ان الله عز وجل يقول كذب من ادعى محبتي
فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا مطلع على احبابي وقد مثلوني
بين اعينهم وخاطبوني على المشاهدة وكلموني بحضور غدا اقر اعينهم في جناني ولا
يزال هذا الذي في قلوب المحبين المقربين يقوى حتى تمتلي قلوبهم به فلا يبقى في قلوبهم غيره
ولا تستطيع جوارحهم ان تنبعث الا بموافقة ما في قلوبهم ومن كان حاله هذا قيل فيه
ما بقي في قلبه الا الله والمراد معرفته ومحبته وذكره وفي هذا المعنى الاسرائيلي المشهور
يقول الله عز وجل ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن وقال بعض
العارفين احذروه فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده غيره وقال بعضهم في هذا
المعنى ليس للناس موضع في فؤادي زاد فيه هواك فقد امتلا وقال اخر
قد وسع قلبي على مقدار حبهم فالحب سواهم فيه متسع ولهذا المعنى اشار النبي صلى
الله عليه وسلم في خطبته لما قدم المدينة قال احبوا الله من كل قلوبكم كما ذكره ابن اسحق
في سيرته فمتى امتلا القلب بعظمة الله محى ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شي
من نفسه وهواه ولا ارادة الا لما يريد منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره
ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق بالله وان سمع سمع بالله وان نظر نظر بالله
وان

وان بطش بطش به فهذا هو المراد بقوله عز وجل كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ومن اشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول
والاتحاد والله ورسوله بريان منه ومن هاهنا كان بعض السلف كسليمان التيمي يرون انه لا
يحسن ان يعصى الله ووصت امراة من السلف اولادها فقالت لهم تعودوا حب الله وطاعته
فان المتقين الفوا الطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها فان عرض لهم الملعون بمعصية
مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه انا كنا نرى ان
شيطان عمر ليهابه ان يامره بالخطيئة وقد اشرنا فيما سبق الى ان هذا من اسرار التوحيد
الخاص فان معنى لا اله الا الله انه لا يؤله غيره حبا ورجاء وخوفا وطاعة فاذا تحقق القلب
بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ولا كراهة لغير ما يكرهه الله ومن كان
كذلك لم تنبعث جوارحه الا بطاعة الله وانما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله او كراهة ما يحبه
وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته وكذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب
فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات وارتكاب بعض المحظورات فاما من تحقق
قلبه بتوحيد الله فلا يبقى له هم الا في الله وما يرضيه وقد ورد في الحديث مرفوعا من اصبح وهمه
غير الله فليس من الله وخرج الامام احمد من حديث ابي بن كعب موقوفا قال من اصبح واكبر همه
غير الله فليس من الله قال بعض العارفين من اخبرك ان وليه له هم في غيره فلا تصدقه
كان داود الطائي ينادي بالليل همك عطل علي الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقي الى
النظر اليك اوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها الكريم مطلوب
وقال بعضهم في هذا المعنى قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلا منا وذلك فعل الخاين السالي
وكيف اشغل قلبي عن محبتكم بغير ذكركم يا كل اشغالي قوله ولئن سالني لا
عطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وفي الرواية الاخرى ان دعاني اجبته وان
سالني اعطيته يعني ان هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي انه اذا سال
الله شيئا اعطاه اياه واذا استعاذ به من شي اعاذه منه وان دعاه اجابه فيصير مجاب الدعوة
لكرامته على ربه عز وجل وكان كثير من السلف الصالح معروفا باجابة الدعوة في الصحيح ان الربيع
ابنة النضر كسرت ثنية جارية فعرضوا عليهم الارش فابوا فطلبوا منهم العفو فابوا فقضى بينهم

Copyright © King Saud University